

المكايبة في كتاب "نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة"

للقاضي التنوخي ت ٣٨٤هـ

◀ علاء الدين زكي

تحدثت عن أسلوب التنوخي في "نشوار المحاضرة" من حيث طبيعة التصنيف، ومن حيث اللغة والتركيب.

إن كتاب "نشوار المحاضرة" عبارة عن مجموعة من الحكايات التاريخية والشعبية والخرافية، مصوغة بقالب فني أدبي خاص، تتحد في بنائها العام، وتختلف في الموضوع الذي تطرقه، فإذا تبين ذلك، أستطيع القول بأن الكل يأخذ حكم الجزء، وأن قراءة حكاية واحدة كفيلة بأن تعطي صورة عن النسق الذي عليه الحكايات في هذا الكتاب، بأجزائه الثمانية.

أولاً: التعريف بالكاتب والكتاب

الكاتب هو أبو علي، المحسن بن علي بن محمد التنوخي (١)، مولده سنة ٣٢٩هـ بالبصرة. في بيت فقه وعلم، فنشأ منذ طفولته محبا للدرس، وهو يحدثنا عن ذكرياته في الكتاب، وكان أول سماعه الحديث وهو في

يعد القاضي أبو علي المحسن التنوخي علماً من أعلام الأدب العربي النثري في القرن الرابع للهجرة، ويعد كتابه "نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة" أحد أهم منجزاته العلمية والأدبية، بما تضمنه من أخبار ومرويات حكاية، تعكس صورة الحياة في المجتمع العباسي، السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

ضمّنت هذه الدراسة تعريفا موجزا بالتنوخي؛ لما في ذلك من أثر يوضح ظروف تأليفه لكتاب "نشوار المحاضرة"، كما عرّفت بهذا الكتاب، والجهود التي بذلت في سبيل جمع الأجزاء الضائعة منه، ثم تحدثت عن الحكاية فيه، موضعا الفرق بين أن يكون "نشوار المحاضرة" كتاب تاريخ أو كتاب أدب، وعرضت لبنية الحكاية فيه من حيث: الاستهلال، والمقدمة، والسرد، والنهاية التي تختتم بها الحكاية، هذا من الناحية الشكلية، أما من الناحية الفنية فقد حددت بنية الحكاية من حيث: الزمان، والمكان، والشخصيات، والحدث، والحوار، والحبكة، وفي النهاية

من كلام حسن. يقال: إن لفلان نشوارا حسنا أي كلاماً حسناً” والكلمة بكسر حرف النون منها (٢).

اشترط التنوخي أن لا يضمن كتابه شيئاً نقله من كتاب، ووضعه في أحد عشر مجلداً، كل مجلد له فاتحة بخطبة، وصنفه في عشرين سنة أولها سنة ٣٦٠ هـ (٣)، وأتمه بعد تفرغه سنة ٣٧٢ هـ وهي السنة ذاتها التي بدأ فيها بكتابة ”الفرج بعد الشدة”.

قدم التنوخي كتابه إلى القراء بقوله: هذه ألفاظ تلقطتها من أفواه الرجال، وما دار بينهم في المجالس“ (٤) وذكر عن سبب تأليفه الكتاب: ”وهو أني اجتمعت قديماً مع مشايخ فضلاء، علماء أدباء، قد عرفوا أحاديث الملل، وأخبار الملوك والدول... فلما تطاولت السنون، ومات أكثر أولئك المشيخة الذين كانوا مادة هذا الفن...“ (٥) قمت بتدوين هذه الأحاديث والأخبار والحكايات المروية خشية ضياعها، وانعدام الفوائد المرجوة منها بانعدام أصحابها.

وعلى الرغم من أهمية هذا الكتاب كما يصرح مؤلفه ”من أن هذه الأخبار جنس لم يسبق إلى كتبه، وأنا إنما التقطتها من الأفواه دون الأوراق... لعل كثيراً مما فيها لا نظير له ولا شكل، وهو وحده جنس وأصل“ (٦) إلا أنه لم يصل إلينا منه سوى أربعة أجزاء! هي: الأول والثاني والثالث والثامن، حيث اعتنى به د.س. مرجوليوث طباعة وترجمة ونشراً (٧). إلى أن قام عبود الشالجي بتحقيقه سنة ١٩٧١م، ثم جمع متممة هذه الأجزاء - من الرابع

السابعة من عمره. وعندما شب تفقه، وشهد عند القاضي أحمد بن سيار، ثم لحق بالوزير المهلبي إلى بغداد، فقلد القضاء سنة ٣٤٩ هـ.

استقر التنوخي ببغداد، وتعمم بالقرب من الوزير المهلبي، ووفر له هذا الاستقرار الاتصال بمجموعة من العلماء والأدباء والشعراء، كما سنجليه في الحديث عن بنية حكاياته فيما بعد. وقويت علاقة التنوخي بعضد الدولة، وكان لهذا أثر في تقدمه تقدماً عظيماً، وتقلده القضاء في عدة أماكن. حتى إذا زالت المودة بينهما صب عضد الدولة جام غضبه عليه، فعزله من جميع أعماله، وأصدر إليه أمره، بأن يظل في داره حبيساً لا يبارحها. ظل التنوخي على حاله هذه، حتى توفى عضد الدولة سنة ٣٧٢ هـ، وبعد ذلك تفرغ التنوخي لإتمام مؤلفاته، ولم يتقلد عملاً من أعمال السلطان إلى أن توفى ببغداد سنة ٣٨٤ هـ.

كان التنوخي معتزلياً متعصباً للاعتزال، حنفي المذهب، معتقداً بالتنجيم. وله ديوان شعر - لم يصل إلينا - وأربعة مصنفات هي: ”نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة“ و”الفرج بعد الشدة“ و”المستجد من فعلات الأجواد“ و”عنوان الحكمة والبيان“.

والكتاب الذي نحن بصدد ”نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة“ الكلمة الأولى منه (النشوار) فارسية أصلها (نشخوا) ومعناها جرّة الحيوانات المجترّة، وقد فسر التنوخي سبب هذه التسمية، فقال: ”النشوار: ما يظهر

فيه من مادة تاريخية ليس إلا قصصاً إخبارياً، بمعنى الإشارة إلى هذا الحدث أو ذاك عبر الخبر أو الحكاية.

ومنهج التنوخي في كتابه هذا لا يقوم على أساس إيراد أخبار حول أحداث بعينها، ولا على أساس ذكر الأحداث التاريخية الكبرى، أو القضايا المهمة ذات التأثير الخطير على الدولة الإسلامية آنذاك - كما نرى في كتب التاريخ - وهو لم يعمد إلى تحليل تلك الأحداث، وإنما يكتفي بذكر شخصيات بعينها في مواقف بعينها، ويسلط الضوء عليها، بعيداً عما كان لها من تأثير في الأحداث الخطيرة التي شهدتها في زمانها.

وعلى هذا يمكن أن يكون "نشوار المحاضرة" كتاب تاريخ، لمن كان له علم بالأحداث التاريخية، التي ورد لها ذكر أو إشارة في مروياته، ويمكن أن يكون كتاب أدب لمن ينشد القصة والحكاية والمعالجة الدرامية، لتلك المرويات التي يسوقها التنوخي في هذا الكتاب (١١).

وتتضح طريقة التنوخي في تأليفه هذا الكتاب بصورة أفضل عبر قوله: "فأوردت ما كتبه مما كان في حفظي سالفاً، مختلطاً بما سمعته آنفاً، من غير أن أجعله أبواباً مبنية، ولا أصنفه أنواعاً مرتبة" (١٢) فهو إذن يسلك مسلك الاستطراد، فينتقل بالقارئ من حديث إلى حديث، بلا ترتيب ولا تبويب، وهذا المنهج له قيمته في تشويق القارئ، ونقله من حال إلى حال، بين الجد والهزل، والحلو والمر، والقديم والطريف (١٣).

حتى السابع - من مختلف المصادر التي نقلت أخباراً وحكايات عن التنوخي، على أن هذه الأجزاء هي الأجزاء المفقودة من "نشوار المحاضرة" (٨).

إن تحقيق عبود الشالجي لجدير بالتقدير، ولكنه لم يسلم من النقد، فهو لم يأت بأجزاء جديدة من الكتاب بناء على مخطوطات كانت غير معروفة (٩)، ثم إن الأعراف العلمية لا تاذن بإسناد شيء إلى غير صاحبه إلا عن بينة ودليل، ولا تتيح بأية حال جعل بعض الحكايات، أي كانت صلتها بصاحبها، هي الكتاب المفقود الذي يعد هو على هذا النحو أو ذاك (١٠).

وتبقى لـ "نشوار المحاضرة" أهمية بالغة، تتمثل في كونه من أهم الكتب التي وصلت إلينا من مؤلفات القرن الرابع الهجري، وهو الذي يعكس صورة تفصيلية عن حياة أبناء المجتمع العباسي، الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وقبل ذلك كله العلمية والأدبية.

ثانياً: "المكايبة" في كتاب "نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة"

أول ما يحسن البدء به في هذا السياق الإجابة عن سؤال محوري هو: هل كتاب "نشوار المحاضرة" كتاب تاريخ أم كتاب أدب تضمن كل هذا الكم من المرويات الحكائية الأدبية؟ وللإجابة عن هذا السؤال، طوّفت في أجزاء الكتاب الثمانية، لأقول إن كتاب نشوار المحاضرة ليس كتاب تاريخ بالمفهوم العلمي لكتب التاريخ، فما ورد

الثامن: البناء الشكلي للمحاكاة في كتاب ”نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة“

عمد محقق ”نشوار المحاضرة“ إلى وضع عنوان لكل حكاية، استنتاجاً من مضمونها، وإيعازاً إلى أحد أبطالها، مثال ذلك: ”درة الصوفي يتحدث عن المورثين“ (١٦)، ”امرأة بغدادية تتظرف فتحرف القرآن“ (١٧)، ”شيخ من الكتاب ينصح أبا الحسين بن عياش“ (١٨). ثم يورد الحكاية كما رواها التنوخي، ومن هنا تبدأ أجزاء البناء الشكلي للحكاية في هذا الكتاب (١٩).

الاستهلال:

وهو استهلال إسنادي متسلسل غير منقطع، مثال ذلك: ”حدثني أبو الحسن بن الأزرق قال: حدثني أبو محمد بن درستويه النحوي، قال: حدثني الزجاج قال: ...“ (٢٠)، ويلحظ أن هذا الاتصال في السند مقتصر على الحكايات التاريخية، وهدفه أن يضيء على الحكاية شيئاً من الحقيقة والواقعية، ولذا يحيل على إفادات شهود جديرين بالثقة، بالإضافة لما يعكسه من أسماء للوزراء والقواد والقضاة الذين يجالسهم القاضي التنوخي، بحكم مهنته ومنزلته عندهم.

لكن التنوخي لا يحرص على الإسناد أصلاً، فضلاً عن الاتصال فيه، إذا كانت الحكاية خرافية شعبية، مثال ذلك إيراده حكاية خرافية تتحدث عن قرد ينهي صاحبه الخمر عن الغش في بيع الخمر، إذ يكتفي بالقول: ”روي

إن نص التنوخي سابق الذكر يكشف عن أمرين في غاية الأهمية، الأول أنه يفسر مقصد التنوخي من كتابه ”المذاكرة“ وتعني المسامرة، وما تتطلبه من تسلية وترويح عن النفس، وهو ما تمثله الحكايات خير تمثيل، لأنها لا تستدعي التبويب والترتيب، وحين نطالع هذه الحكايات والأخبار، نشعر كأننا حاضرون في المجلس، الذي تدور فيه الأحاديث يتجاذبها على مهل أهل المعرفة من البغداديين في القرن العاشر - الرابع الهجري - المجتمعين طلباً لجمام الروح وراحة النفس، عقب هموم النهار ومتاعب العمل (١٤).

والأمر الثاني: أن القارئ لهذا الكتاب، لا يتعامل مع حكايات ذات شخصيات معينة تعالج موضوعات معينة، مما يعسر مهمة الباحث؛ إذ يلزمه تتبع الحكايات عن الشخصية الواحدة أو الموضوع الواحد، في صفحات متناثرة بين طيات الكتاب.

غير أنه من الممكن تقسيم المرويَّات الحكائية في ”نشوار المحاضرة“ إلى قسمين:

مرويَّات وثائقية: أي حكايات إخبارية، من قبيل الأدب الوثائقي التسجيلي، ذي المسحة التاريخية، وهذه المرويَّات تؤلف الجزء الأكبر من الكتاب.

مرويَّات موضوعية للتسلية: يقع جزء منها فيما يمكن تسميته بالموروث الشعبي، وينضوي تحته الحكاية الخرافية والشعبية، والمنامات، وأخبار حيل اللصوص... الخ (١٥).

ولكل حكاية عند التوخي في "نشوار المحاضرة" نهاية، والنهاية مترتبة على بداية الحكاية، وهي تتكشف شيئاً فشيئاً، وهذا نوع من التشويق الذي يدفع القارئ إلى كشف المبهم في الحكاية، عبر قراءتها حتى النهاية.

رابعاً: البناء الفني للمكايه في كتاب "نشوار الرماضرة وأخبار الرماضرة"

الزمن:

وهو القرنان الثالث والرابع للهجرة، مما سمعه من الرواة في سند الحكاية ولم يعايشه بنفسه، مثل أن يكون قبل مولده، و مما رواه وقد عايشه مع أحد الخلفاء أو الوزراء أو القضاة، وهذا هو الزمن العام الغالب على الحكايات في هذا الكتاب. أما خصوصية كل حكاية، فمنها ما يكون مؤرخاً بتاريخ محدد كحكاية بشر بن هارون الكاتب، إذ يشكو من رئيسين صرف أحدهما بالآخر وفيها يؤرخ: شعبان سنة ٣٥٩هـ (٢٧)، ومنها ما يحدد بزمن خليفة معين أو وزير من الوزراء، ونجد هذا في كثير من الحكايات، كحكاية قتل الخليفة المعتضد وزيره إسماعيل بن بلبل (٢٨). وبهذا التحديد يعطي حكايته مصداقية أكبر أو تخيلاً أكبر!

المكان:

يتمثل الإطار العام للحكايات في مدينة بغداد (دار السلام)، وهي التي ارتحل إليها التوخي، وفيها دون كتاب "نشوار المحاضرة"، وفيها استقر إلى أن مات، وفي داخل بغداد يتحدد المكان أكثر فأكثر، وفق كل حكاية.

عن وهب بن منبه...." (٢١) ثم يورد تلك الحكاية، ولعل ذلك يعد مؤشراً على ترفعه عن ذكر هؤلاء الرواة، أو على عدم تصديقه لهذه الحكايات.

المقدمة:

وهي تتكون من عدة جمل أو من جملة واحدة، وتتضمن سبب سرد الحكاية، أو إطرء التوخي على الشخصية التي تدور حولها الحكاية، مثال ذلك: "جرى بيني وبين أبي الحسن الكاتب الأهوازي، وهذا الرجل من معقلي الناس وفضلائهم، عقلاً ونبلاً، وبراعة في صناعته..." (٢٢).

سرد المكايه تدايلاً على ما ورد في المقدمة:

مثال ذلك: "جرى الحديث يوماً بحضرة أبي، في البخل والبخل، واختصاص الملوك بذلك، وكان أبو الحسن مطهر بن إسحاق بن يوسف الأهوازي حاضراً، فقال:..." (٢٣) ثم يورد حكاية موضوعها البخل.

النهاية:

وهي لا تسير على نسق محدد في الكتاب، وهي إما أن تكون تعليقاً من المؤلف، أو تعليقاً من الراوي، وهذا التعليق إما أن يكون جملة تعجبية أو استفهامية، أو أن تكون مجرد قفلة للحكاية على شكل جواب مسكت أو حكمة أو دعاء أو بيت شعر... إلخ، مثال ذلك: "والحمد لله على حسن التوفيق" (٢٤) "فلما كان بعد ثلاثة أيام حلته، وقد عوفيت" (٢٥) "وهو حسبنا ونعم الوكيل" (٢٦).

إن الشخصيات التاريخية في حكايات التنوخي هي شخصيات أدبية، تتصرف وتتحدث لدى تعاملها بهذا الشكل أو ذاك مع الآخرين، كاشفة عن خليقتها وسجاياها، ومبديّة شتى الانفعالات (٣٢).

هؤلاء وغيرهم أبطال حكايات التنوخي، وهو مهتم بهم، فلا تفلت نفسية واحد منهم من عنايته، وهو يبدي دوماً الاهتمام بمعرفة دواعي تصرفاتهم، والدوافع إلى أفعال كل واحد منهم (٣٣).

والحكم على هذه الشخصيات من حيث إنها أساسية أو ثانوية، ثابتة أو متطورة، يختلف من حكاية إلى أخرى، أو حسب النظر إلى شخصية البطل عبر مجموع الحكايات الواردة عنه، فعلى سبيل المثال شخصية المقتدر في حكايات الفساد المسوقة عنه (٣٤) أساسية ثابتة على خلق الإسراف والتبذير، مذ كان طفلاً صغيراً إلى أن أصبح خليفة حاكماً.

المحدث:

أحداث الحكايات متنوعة تنوع الموضوع الذي تتحدث عنه، ولعل الموضوع الذي يشغل المحل المركزي، ومركز الصدارة في حكايات التنوخي، هو تقلبات القدر (٣٥) وما يتبع ذلك من صراع على الوزارة، ووشايات ومؤامرات ومصادرات وتعذيب وقتل. ومن أساليب السرد الحكائي في "نشوار المحاضرة":

التسلسل أو التضيد: هو نسق الربط بين مجموعة أخبار - حكايات - متتابعة على الرغم من استقلال

هناك حكايات حدثت في دور الخلفاء والوزراء وقصورهم، الذين هم وثيقو الصلة بالتنوخي بحكم وظيفته، كحكاية المعتضد وهو يلاعب ابن حمدون بالنرد (٢٩) وهناك حكايات حدثت في الجامع أو الخان أو بالقرب من نهر دجلة... إلخ. ولكل ذلك دلالاته الحضارية والثقافية.

الشخصيات:

شمل التنوخي في حكاياته جل شخصيات المجتمع العباسي في القرن الرابع الهجري، الخواص منهم كرجال الدولة وعلى رأسهم الخليفة، ومن يمثلون الطبقة الوسطى - والتنوخي أحدهم - كالعلماء والأدباء والفقهاء والقضاة، ومن يمثلون العامة وهم جماهير الشعب من خدم وجند وجوارٍ وباعة ولصوص (٣٠).

ومن الأمثلة على شخصيات الحكايات ممن تكرر ذكرهم في عدد من الحكايات لا تقل عن خمس:

من الخلفاء: المعتضد والقاهر والمقتدر وأمه والراضي.

من الأمراء: سيف الدولة الحمداني ومعز الدولة وعضد الدولة.

من الوزراء: عبيد الله بن سليمان والقاسم بن عبيد الله وعلي بن عيسى.

من القضاة: أبو عمر القاضي وأبو حازم القاضي.

من الشعراء: البيغاء وأبو فراس والصروري.

من التجار: أبو عبد الله بن الجصاص (٣١).

المبكة:

وهو ما تقتصر إليه الحكايات في "نشوار المحاضرة"، إلا أن شيئاً يشبه الحبكة يلمس في هذه المروييات، وهو الحكائية التي تعتمد أساساً على الحوادث المرتبة زمنياً، وعلى وجود راوٍ، ومروي، ومروي له، ولها بداية ووسط ونهاية تنتهي إليها (٤٠) ولعل هذا متوافر في معظم المروييات الحكائية في هذا الكتاب، ويمثل إحدى صور صوغ الحبكة فيه.

فامسا، أسلوب التنوخي، في كتاب "نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة"

أولاً: من حيث طبيعة التصنيف.

يصرح التنوخي بعدم التبويب والترتيب في تصنيفه للكتاب، ويعد هذا خروجاً عما اعتاده الكتاب في عصره من التقسيم والتبويب. وعمد إلى الاستطراد - وهو سمة كتاب عصره - من حكاية إلى حكاية دون رابط بينها، وقصد من ذلك تسلية القارئ والترويح عن نفسه. وهو يستطرد في الحكاية الواحدة إذ تمتد إلى عدة صفحات في بعض الأحيان (٤١)، وتقتصر على عدة أسطر في أحيان أخرى (٤٢).

تناولت حكاياته مختلف طبقات المجتمع العباسي، وعرضت لتقلبات القدر وتأثيرها على الناس، وعلى الرغم من أن عصر التنوخي عصر العلوم المتعددة، إلا أنه لم يتعرض لأفكار فلسفية أو منطقية، ولم يعتن بالجدل والمجادلات، فقد أثر السهولة والوضوح مع بقاء الرصانة والجزالة في حكاياته.

كل خبر عن الآخر، بوساطة شخصية مشتركة، أو ثيمة مشتركة (٣٦)، مثال ذلك أخبار ابن الجصاص التاجر (٣٧)، إذ يبدأ الحدث بسيطاً، مجرد خبر مصادرة أموال ابن الجصاص، ثم يتعدّد شيئاً فشيئاً، أسف ابن الجصاص وحزنه على فقد ماله، حتى أنه كاد يفقد عقله، ثم ينتهي بسيطاً، في التسرية عنه بما بقي معه من مال، وهو مبلغ مليون دينار!

التعاقب السببي: ويعني أن علاقة سببية تستدعي تقديم خبر على آخر (٣٨)، مثال ذلك الحكايات عن إسراف المقتدر ووالدته وإسراف الراضي (٣٩)، إن أول الأحداث هنا تنبؤ الخليفة المعتضد بضياح الدولة على يد ولده المقتدر، عبر إسرافه وتبذيره، ثم تتابع الأحداث مؤكدة تنبؤ المعتضد، إلى أن تختتم وينتهي تطورها بختم الراضي الخلفاء من بني العباس في عدة أمور، وذلك كله يوحى بتحقق نبوءة المعتضد، التي أشار فيها إلى زوال الملك عن بني العباس.

الموار:

صاغ التنوخي معظم حكاياته بأسلوب الحوار بين شخصيات الحكايات، فجعلها بنفسها تعبر عن نفسها، وهي بذلك تأذن بالتعرف عليها من مختلف النواحي، فالحوار هنا يكشف عن ثقافة المتكلمين، كأن يكونوا علماء أدباء، أو قضاة، أو شعراء، أو من العامة والسوقة الجاهلين؛ إذ يعبر كل منهم بألفاظ تنم عليه، وتكشف عن أبعاد شخصيته.

وعند التوخي مرونة في التعبير، وذلك أهم ما يتحلى به صائغ الكلام، وانظر قوله: ”فباكرت إسماعيل، فحين رأني قال: هذا وجه غير الوجه الأمسي“ يريد هذا وجه غير وجه الأمس، والنسبة إلى الأمس قليلة في الكلام، مع أنها أدل على معناها من الإضافة، وأصرح في الأداء (٤٧).

ختاماً: يشير التوخي في مقدمة كتابه إلى أنه لو لم يكن لهذا الكتاب فضل، سوى أنه أفضل من أن يظل الورق أبيض -دون أي علم- لكفاه ذلك، وأنا بدوري أقول: لو لم يكن لهذا الكتاب فضل سوى التعريف بتقلبات القدر، ودولة الأيام، بما يخفف هم المهمومين، وينفس الكرب عن المحزونين، ويدعو إلى الاعتبار بمصائر الآخرين، والرضا بما قسم الله لنا في هذه الدنيا، انتظاراً للعدل المطلق في الدار الآخرة... لو لم يكن له غير ذلك لكفاه، ولو في حكاية واحدة، من بين المئات من الحكايات التي تتناثر بين طيات هذا الكتاب، بأجزائه الثمانية.

الهوامش:

- (١) انظر ترجمته في: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مطبوعات دار المأمون، مصر، د.ت، ج١٧، ص ٩٢-١١٦. بدري محمد فهمي، القاضي التوخي وكتاب النشوار، ١٩٦٦م، ص ٧-٢٦. التوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ت: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٧١م، مقدمة المحقق، ج ١، ص ١٧ - ٣٢.
- (٢) التوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ج ١، حاشية ص ١٠.
- (٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ١٧، ص ٩٢.
- (٤) التوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ج ١، ص ١.
- (٥) نفسه، ج ١، ص ٨.

وعرضت حكاياته لاعتقادات الشعب بأقوال الصوفية (٤٣)، والمنامات، والنجوم، وتعبيرات المنجمين (٤٤)، والأمثلة الشعبية (٤٥)، وهو في ذلك يعطي الوصف حقه دون مبالغة أو تهويل.

ثانياً، من حيث اللغة والتركيب.

تتسم حكايات التوخي بالواقعية، ودليل ذلك ذكر السند في مستهلها، ومن ثم ابتعادها عن الكنايات والتشبيهات والاستعارات، حتى أنه يذكر كلمات تخرج عن نطاق الذوق والحياء.

لغة التوخي فصيحة سليمة، تتحقق فيها سمة التطور اللغوي، كما أنها تعتبر نموذجاً للغة العامية التي تعنى بالحوار والتخاطب، وتتضمن مفردات غير عربية كالفارسية، مثل: الروزنة وتعني الكوة، والسكباج وتعني مرق يصنع من اللحم والخل ومواد أخرى، والشاكري وهو الأجير أو المستخدم (٤٦).

وقد استجابت اللغة للتوخي، وطاوعه البيان، فكتابه مليء بالتعابير الجميلة، وأي جمال فاته في قوله: ”ونعوذ بالله من الإدبار، وتغير النعم، وإيحاشها بقله الشكر“ وللقارئ أن يتأمل كيف تستوحش النعم بقله الشكر!

وعند التوخي ألفاظ متخيرة قل استخدامها اليوم، مع أنها دقيقة الدلالة على معانيها، من ذلك قوله على لسان التاجر ابن الجصاص: ”قمت البارحة في الظلمة إلى الخلاء، فما زلت أتلحظ المقعدة حتى وقعت عليها“ فإن كلمة ”أتلحظ“ أدق من كلمة ”ألمس“ التي كثر استعمالها اليوم.

- (٦) نفسه، ج ١، ص ١٣.
- (٧) بدري محمد فهمي، القاضي التنوخي وكتاب النشوار، ص ٤٣.
- (٨) انظر: التنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، مقدمة المحقق، ج ١، ص ١٠-٨.
- (٩) انظر: شكري فيصل، رحلة كتاب نشوار المحاضرة خلال نصف قرن ويزيد، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٧٣م، مج ٤٨، ج ٢، ص ٢٨٥.
- (١٠) نفسه، ص ٢٩٧.
- (١١) انظر: د. مي يوسف، بحث بعنوان: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي، مجلة أبحاث اليرموك، ١٩٩٩م، مج ١٧، ع ٢، ص ١١.
- (١٢) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج ١، ص ١٢.
- (١٣) انظر: د. زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع الهجري، المكتبة التجارية، مصر، ط ٢، ج ١، ص ٣٢٣.
- (١٤) فلشيتنسكي، بحث بعنوان: ”نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة“ للتوخي كنموذج للحكاية العربية في القرون الوسطى، ضمن كتاب: بحوث سوفيتية جديدة في الأدب العربي، تر: محمد الطيار، دار رادوغا، ١٩٨٦م، ص ٥٠.
- (١٥) د. مي يوسف، بحث بعنوان: نشوار المحاضرة، ص ١٨.
- (١٦) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج ١، ص ١٩١.
- (١٧) نفسه، ج ١، ص ١٩٥.
- (١٨) نفسه، ج ١، ص ٢٤٩.
- (١٩) انظر: د. مي يوسف، بحث بعنوان: نشوار المحاضرة، ص ٢٥.
- (٢٠) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج ١، ص ٢٧٤.
- (٢١) نفسه، ج ١، ص ٢٠١.
- (٢٢) نفسه، ج ٢، ص ٢٥٢.
- (٢٣) نفسه، ج ٢، ص ٣٢٣.
- (٢٤) نفسه، ج ١، ص ٦٢.
- (٢٥) نفسه، ج ٢، ص ٩٤.
- (٢٦) نفسه، ج ٢، ص ٢٦٣.
- (٢٧) نفسه، ج ١، ص ٩٤.
- (٢٨) نفسه، ج ١، ص ١٥١.
- (٢٩) نفسه، ج ١، ص ٣٦٦.
- (٣٠) انظر: بدري محمد فهمي، القاضي التنوخي وكتاب النشوار، ص ٦٧-٦٩.
- (٣١) انظر: د. مي يوسف، بحث بعنوان: نشوار المحاضرة، ص ٢٩. (وهذه الأمثلة تتحدد في الأجزاء الأول والثاني والثالث والثامن من ”نشوار المحاضرة“)
- (٣٢) انظر: فلشيتنسكي، بحث بعنوان: ”نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة“، ص ٦٣.
- (٣٣) نفسه، ص ٥٥.
- (٣٤) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج ١، ص ٢٨٧-٢٩٥.
- (٣٥) فلشيتنسكي، بحث بعنوان: ”نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة“، ص ٥٧.
- (٣٦) انظر: خولة خليل حسين، الخبر عند المحسن التنوخي بين القص والتأريخ، رسالة دكتوراه، مخطوطة، جامعة اليرموك، ٢٠٠٠م، ص ٤٩.
- (٣٧) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج ١، ص ٢٥-٣٧.
- (٣٨) خولة خليل حسين، الخبر عند المحسن التنوخي، ص ٦٠.
- (٣٩) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج ١، ص ٢٨٧-٣٠٠.
- (٤٠) انظر: د. مي يوسف، بحث بعنوان: نشوار المحاضرة، ص ٢٧.
- (٤١) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج ١، ص ٧٨.
- (٤٢) نفسه، ج ١، ص ١٥٢.
- (٤٣) نفسه، ج ٢، ص ١٤٤.
- (٤٤) نفسه، ج ٢، ص ٣٢٩-٣٣٠.
- (٤٥) نفسه، ج ٢، ص ٢٢٣.
- (٤٦) للمزيد عن لغة التنوخي في ”نشوار المحاضرة“ انظر: سلوى عبد الفتاح درويش، المحسن بن علي التنوخي: حياته ودراسة تحليلية لأثاره، رسالة ماجستير، مخطوطة، الجامعة الأردنية، ١٩٩٤م، ص ١٥٢.
- (٤٧) د. زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع الهجري، ص ٣٢٦.